



دور المستشرقين الفرنسيين في الاكتشافات الأثرية والاثنو - انثروبولوجية بمنطقة الجلفة

(فرانسوا دو فيلاري، جيلبير شارل بيكار، هنري لوط)

The role of the French orientalism in the archaeological discoveries and ethno-anthropological in the Djelfa region. (François de villaret, gilbert charles bècard ,Henri l'hote)

ط.د نور الايمان طراري ، جامعة زيان عاشور الجلفة، مخبر الدراسات التاريخية والإنسانية، (الجزائر)

nourelimanetrari@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/01

تاريخ القبول: 2024/05/15

تاريخ الاستلام: 2023/07/17

ملخص:

لعبت منطقة الجلفة دورا حضاريا كبيرا منذ أقدم العصور من خلال ثراها المادي وما تتركز به من كنوز أثرية، ويعود الفضل في ذلك إلى موقعها الاستراتيجي المتميز باعتبارها مركزا مهما لعرق الصحراء وهجرة وصل بين القبائل والبدو الرحل. كما يعتبر المجتمع النابلي من المجتمعات التي حافظت على هويتها الوطنية ومبادئها الدينية، وهو ما أثار اهتمام المستشرقين الفرنسيين أمثال (فرانسوا دو فيلاري، جيلبير شارل بيكار، هنري لوط)، الذين توافدوا عليها ضمن إستراتيجية السيطرة عليها وربطها بمناطق النفوذ الفرنسية من خلال نشر المسيحية وطمس الهوية الوطنية والدينية للمجتمع النابل، وبعد فشل حركتهم التنصيرية تحول اهتمامهم صوب الاكتشافات الأثرية والدراسات الانثروبولوجية من خلال احتكاكهم بالأهالي وتنقلاتهم ورحلاتهم. وسنسعى في هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على أهم المواقع والمخططات التي اكتشفها هؤلاء الباحثين، من خلال كتاباتهم التي أضحت لها أهمية كبرى في التاريخ الأثري باعتبارها تقريرا المصدر الوحيد لجل ما يتعلق بتاريخ القبائل.

كلمات مفتاحية: الاستشراق الفرنسي؛ الجلفة؛ الفن الصخري؛ أولاد نايل.

Abstract:

The djelfa region has played a major civilized role since ancient times through its material wealth and its rich archaeological treasures, thanks to its distinguished strategic location as an important center of the depths of the desert and a link between tribes and nomadic bedouins. The Nile society is also considered one of the societies that preserved its identity patriotism and its religious principles, which aroused the interest of French orientalists such as (François de villaret, Gilbert Charles Picard, Henri l'hôte), who flocked to it within the strategy of controlling it and linking it to the French spheres of influence by spreading Christianity and obliterating the national and religious identity of the Nile society, and after the failure of their christianization movement, the transformation of their interest in archaeological discoveries and studies through their contact with the people, their movements and trips. In this paper, we will seek to shed light on the most important sites and stations discovered by these researchers, through their writings, which have become of great importance in archaeological history as almost the only source for most of what is related to the history of the tribes.

Keywords: French orientalism; Djelfa; Rock art; Nile children



مقدمة:

منذ القرون الوسطى ظهرت الصلة الوثيقة بين فرنسا والعالم العربي الإسلامي، ويعود الفضل في تأسيس الاستشراق بفرنسا للفرنسي دي سيسي الذي ترى على يديه كبار المستشرقين الفرنسيين أمثال ماسنيون، بلاشير ورنار... الذين كان لهم دور كبير في استعمار العالم العربي الإسلامي ومن بينها الجزائر. أيقن الاحتلال الفرنسي أن الروابط الدينية والأخلاقية للمجتمع الجزائري يمثل الذاكرة والحصن المنيع الحافظ لكل الجزائريين، ولا يمكن إخضاعه لسيطرته إلا عن طريق فهم تفكيره والعيش داخل المحيط الاجتماعي للأهالي.

تعتبر قبائل أولاد نائل من المكونات الأساسية للمجتمع الجزائري، التي لفتت اهتمام الباحثين الفرنسيين للخوض في أصولها الشريفة ومعرفة مرجعياتهم الروحية وكذا خصائصهم وعاداتهم وتقاليدهم، باعتراف الفرنسيين أنفسهم.

إن دراستنا تهدف إلى دراسة وتتبع أبحاث وكتابات الرحالة والمستكشفين ودراسة اكتشافاتهم، خلال القرنين 19 و 20 م، ولهذا ارتأينا في هذه المداخلة الخوض في أبحاثهم، وتمحيص النتائج التي توصلوا إليها في دراستهم الأركيولوجية والاثنو-أنثروبولوجية من وجهة نظرهم.

وذلك بطرح الإشكالية التالية:

- ما مفهوم ظاهرة الاستشراق؟ وما هي أسباب ودوافع قدومهم لمنطقة الجلفة؟
- ما هي المصادر التي اعتمدوا عليها في أبحاثهم؟
- ما هي أهم المحطات والمواقع التي أشاروا إليها في أبحاثهم؟
- هل أعطى دوفيلاري وبيكار ولوط صورة واضحة وحقيقية للمنطقة؟

ومن خصوصية هذه الدراسة إتباع منهجية تبنت تقدم نبذة عن السيرة الذاتية للمستشرقين الفرنسيين (فرانسوا دو فيلاري، شارل بيكار، هنري لوط)، بالإضافة إلى عرض ما ورد في كتبهم ومقالاتهم من مواضيع ومواقع أثرية تم دراستها والإشارة إليها أثناء مسيرتهم الاستكشافية.

1.. مفهوم الاستشراق والمستشرقين:

إن مصطلح الاستشراق وإن اختلفت الآراء في تحديد مفهومه، هو مصطلح حديث الظهور نتيجة لظروف وعوامل جغرافية، ذلك أنه لم يتداول إلا في مطلع القرن 19¹

¹ - أحمد شايب الدور، الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، 2009/2010، ص 14.



وهو ترجمة **Orientalisme** استشرق أي طلب علوم الشرق والاتجاه للتخصص لمعرفتها، وهي مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات ليس من السهل معرفة أسرارها وخباياها وأهدافها، فهي وليد صراع طويل بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية ونتاج تجربة حية من تناقض وتباين عقيدتين وثقافتين وحضارتين.

أما المستشرق فهي كلمة أطلقت سنة 1630 م على من عرف لغات الشرق،² وله معنيين معنى عمومي ومعنى أكاديمي:

- مستشرقو الثقافات: من بينهم الفنانين والكتاب
- مستشرقون "أكاديميون أو جامعيون": متخصصون في اللغات والثقافات.³

1.1.. دوافعه:

يهتم الاستشراق كتيار فكري بالدراسات المختلفة عن الشرق وفي البحث عن علومه، وعقائده وآدابه وحضارته وأديانه ولغاته، له نوايا ودوافع مختلفة، إما دينية أو استعمارية أو علمية.

1.1.1.. الدافع الديني:

يتفق الكثير من الباحثين أن الدافع الرئيسي للاستشراق هو الدافع الديني، بحجة أن جل المستشرقين يعتبرون الإسلام هرطقة وديانة زائفة، وسعيهم إلى نشر الخرافات والافتراءات عن الدين الإسلامي. يضاف إلى ذلك الصراع الديني بين الشرق والغرب أثناء الحروب الصليبية والسعي إلى تحويل المسلمين بشكل رسمي إلى النصرانية، ويظهر ذلك جليا في اعتراف "رودي بارت" بمهاية الاستشراق التبشيري قائلا: "كان الهدف من هذه الجهود الاستشراقية في ذلك العصر وفي القرون الثانية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واحتذابهم إلى الدين المسيحي"⁴.

2.1.1.. الدافع العلمي:

يراد به البحث في علوم الشرق الإسلامي، ودراساتها بمختلف تخصصاتها، ونقلها إلى البلدان الغربية، كي تستفيد منها وتحقيق نخصتها الحضارية والفكرية، أما الدافع العلمي المحض فهو حب الاطلاع على حضارات وثقافات الأمم وتمتاز بالموضوعية نسبيًا، وإن لم تسلم من الأخطاء في بعض الأحيان.

² - محمد فاروق النبهان، 1433 هـ - 2013 م، الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط (المملكة العربية)، ص 10.

³ - محمد فتح الله، الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الاستشراقية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014، ص ص 52-53.

⁴ - محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 40.



3.1.1.. الدافع الاقتصادي :

يعتبر الدافع الاقتصادي أهم دافع لما له من دور كبير في تنشيط حركة الاستشراق، والضرورة لمعرفة الثروات الطبيعية للبلدان الشرقية عامة والعربية الإسلامية خاصة بهدف استغلال خيراتها ونهب ثرواتها، خاصة بعد السيطرة على هذه البلدان.⁵

2.. الاستشراق الفرنسي في الجزائر :

تعد المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أبرز المدارس وأغناها فكرا وأكثرها إنتاجا ووضوحا فهي من أوائل الدول التي عيّنت بالدراسات العربية والإسلامية للاستفادة منها وترجمة آثارها، فأنشأت معاهد وجامعات فرنسية لدراسة اللغات الشرقية، كما تأثر بعض المفكرين الفرنسيين بما اطلعوا عليه من تراث.⁶

اكتشف المستشرقون أثناء رحلاتهم إلى الجزائر تنوعا بيئيا واجتماعيا، وحققا علميا للثقافة الجزائرية، فتم تسخيرهم لإجراء أبحاث ودراسات تحليلية للتراث الجزائري في مختلف ربوعه، فضلا عن الحفريات وجمع التحف الأثرية فكتبوا عن البيئات الجغرافية وأصول القبائل وأنسابها.⁷

3.. الموقع الجغرافي لمنطقة الجلفة :

تقع مدينة الجلفة بالأطلس الصحراوي على بعد 300 كم جنوب الجزائر العاصمة، وهي نقطة التقاء بين الحدود الشرقية والغربية للبلاد.⁸

يحدها شمالا ولاية المدية وشرقا ولاية المسيلة، ومن الشمال الغربي ولاية تيسمسيلت من الجنوب الشرقي ولاية بسكرة وولاية ورقلة، من الجنوب غرداية وتيارت.

⁵ - محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 42-44.

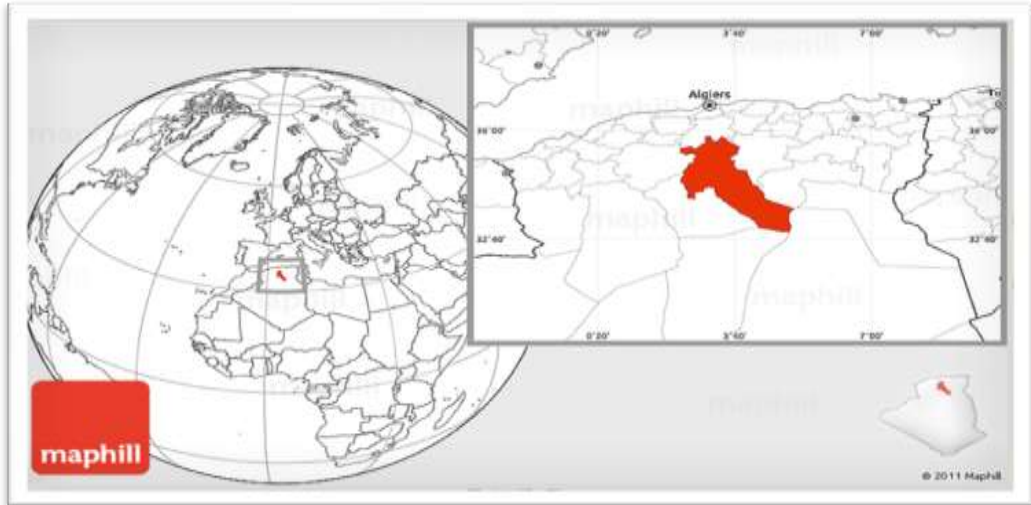
⁶ - عبد الحميد بريقة، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في ميدان العلوم الانسانية، تخصص تاريخ، جامعة 8ماي قلمة، 2022/2021، ص 11.

⁷ - نفسه، ص 81-82.

⁸ - علي بن عبد العزيز عدلاوي، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، منطقة الجلفة نموذجاً، سلسلة الوفا لإحياء تراث الجلفة (1)، دار الاوراسية حي باب الشارف، الجلفة، الطبعة الأولى، 2010. ص 17

الشكل 01:

الموقع الجغرافي لمنطقة الجلفة بواسطة برنامج maphill.



4.. التطور التاريخي للمنطقة :

منطقة الجلفة تضارب في عمق التاريخ، لما لها من دور حضاري منذ العصور القديمة بداية بما قبل التاريخ، مثل ما دلت عليه الشواهد والنقوش والرسوم الصخرية يعود تاريخها لحوالي 9000 سنة قبل الميلاد⁹. أما الفترة البربرية يؤكد وجودها الباحث دوفيلاري، الذي يذكر أنهم كانوا يسموهم الجيتول الذين نزحوا من المشرق (فلسطين واليمن) ومن سردينيا في الغرب. وهو ما أكدته ابن خلدون الذي يرى أن الزناتيين البربر قبائل بدوية متنقلة، يسكنون الخيام ويتخذون الخيل والإبل.

إن منطقة الجلفة لم تكن من الامبراطورية الرومانية بالمعنى الصحيح واقتصرت وجودها في المنطقة على محميات وحصون، حيث امتدت تحصيناتها les limes إلى جنوب وادي جدي وبذلك شملت منطقة الجلفة، وأنشئوا قلعة ديميدي (Gastellum Dimmidi) بمسعد لإحكام السيطرة وتوفير الأمن لأنفسهم ومراقبة تحركات العدو.

⁹ - علي بن عبد العزيز عدلاوي، المرجع السابق، ص 17.



ومع الدخول الاستعماري 1954-1956 أرادت قيادة الثورة ان تكون المنطقة مركزا للتموين وراحة لجيش التحرير الوطني، وأصبح العقيد سي الحواس قائدا لمنطقة الجلفة التي كانت تابعة للناحية الثانية من المنطقة الثانية للولاية السادسة.

ومن أشهر المعارك التي حدثت في منطقة الجلفة، معركة الكرمة في جبل بوكحيل 1961، معارك جبال القعدة وجبل دلاج في 1957، معركة جبل ثامر التي استشهد فيها سي الحواس، معركة جبال الزاب 1957 التي كلفت العدو خسائر بشرية ومادية باهظة¹⁰.

5.. السيرة العلمية للباحثين فرونسوا دو فيلاري، وشارل بيكار وهنري لوط:

1.5.. الباحث فرونسوا دو فيلاري François de villaret:

يعتبر الباحث والراهب فرانسوا دوفيلاري، الملقب بالمرباط عبد الرحمان من أهم الشخصيات التي زارت وكتبت عن تاريخ الجلفة، حيث قضى فيها أكثر من نصف قرن احتك بأهل الجلفة وبالخصوص المنطقة الجنوبية كمسعد وزكار.

بدأت رحلته إلى منطقة الجلفة سنة 1948، ثم غرداية 1955 والبيض 1956 وبسكرة 1958، وفي سنة 1962 عاد من جديد إلى الجلفة ليبقى فيها إلى غاية 2005.¹¹

ألف كتاب السهوب عبر العهود، الذي يعتبر من المصادر الهامة التي تروي تاريخ وشعوب منطقة الجلفة وينقسم إلى ثلاث أقسام:

- القسم الأول يتناول النسب والرحالة¹².
- القسم الثاني: يتناول أولاد نايل¹³.
- القسم الثالث: يتحدث عن القصص الشعبية¹⁴.

ومن الانجازات التي ساهم فيها كذلك، إنشاء المتحف البلدي الذي كان عبارة عن ثكنة حولت إلى متحف، يحتوي العديد من الآثار والقطع التي تعد ثروة للباحثين والدارسين والزوار¹⁵.

¹⁰ - علي بن عبد العزيز عدلاوي، المرجع السابق، ص ص 18-21.

¹¹ - عبد القادر نايلي، جوان 2019، الأب فرانسوا دو فيلاري ونشاطه التنصيري والعلمي بمنطقة الجلفة، مجلة التنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 09، ص ص 3-4.

¹² -F. de villaret, siècles de steppe, Jalons pour l'histoire de djelfa, supplément « Généalogies et nomadisme », centre de documentation saharienne ghargaia (algérie), 1955.

¹³ - F. de villaret, siècles de steppe, Deuxième partie « les oulad nail », ghardaia, 1955

¹⁴ - F. de villaret, siècles de steppe, Troisième partie « Récits populaires », ghardaia, 1955.



أما اكتشافات الأثرية بالمنطقة فقد تناول دوفيلاري 20 محطة¹⁶.

2.5.. الباحث شارل بيكار Charles Bicard :

اسمه الكامل جيلبير شارل بيكار Gilbert Charles Bicard، من أشهر المتخصصين في آثار شمال إفريقيا للفترة البونية والرومانية درس التاريخ القديم في معهد الدراسات العليا، توجه اهتمامه حول قصر ديميدي بالجلفة الذي أجرى به حفريات نشر نتائجها سنة 1945¹⁷.

ألف ثلاث كتب نشرها في أعوام 1930، 1932، 1948 مكرسة لأديان ما قبل الهيلينية وتعدد الآلهة في عصر هوميروس، كما قام بالعديد من الاكتشافات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا دونها في 126 عنوانا، توفي في 21 ديسمبر 1998¹⁸.

3.5.. الباحث هنري لوط Henri l'hote :

هنري لوط مفتون ومولع بالأسطورة الاثنولوجية والانتروبولوجية لعصور ما قبل التاريخ وخصوصا الفن الصخري الصحراوي¹⁹.

سافر أكثر من 80000 كم على الجمل خلال اكتشافاته المختلفة وهو أكبر المتخصصين في الصحراء²⁰.

سعى هنري لوط إلى العديد من الحملات الاستكشافية بالصحراء الجزائرية التي دامت 15 سنة، رفقة بعثات علمية ضمت العديد من الباحثين أمثال: برزيلون brézillon وجان لويك jean loic، وروبرت لافونت robert laffont، ريني كايلي rené caillie هنري دوفيرييه henri duveyrie ومن ضمن دراساته وأهم أعماله التي كسبته احتراما من طرف العلماء وجمعية الفن الصخري الصحراوي 2002 نذكر: - كتب عن مغامرته وأسفاره لبلدان عديدة في عنوان une aventure scientifique au sahara.

¹⁵ - عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص 08.

¹⁶ - عبد الوهاب كيدار، بقعة بلخير، 2021، قراءة في الفن الصخري لإنسان العصر الحجري الحديث، موقع عين الناقية بالجلفة نموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، العدد 02، المجلد 03، ص ص 05-23.

¹⁷ - Nathalie de chaisemartin, gilbert charles bicard (15 octobre 1913 - 21 décembre 1998), antiquités africaines 35, 1999, pp4-8.

¹⁸ - Lebègue Raymond, éloge de M charles picard, membre de l'académie, comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, année 1966, pp01-06.

¹⁹ - Henri l'hote, une aventure scientifique au sahara, monique vérité. P03

²⁰ - L'épopée du ténéré par henri l'hote l'air du temps, tout droits de reproduction, d'adaptation et de traduction réservés pour tous pays, comp.ris l'u.r.s.s, 1961, librairie gallimard, p02



- تحدث عن توارق الاهقار في عنوان: «les touareg du hoggar» .
- تناول رفقة الباحث أنجل f. angel الزواحف والبرمائيات في الصحراء الوسطى والسودان 1938.
- تحدث عن رحلة البحث عن إنسان نياندرتال في الصحراء الغربية نشر نتائجها في كتاب «le sahara néridional de l'époque des chars à celle des promadaire»²¹ .
- تصارع مع الصحراء في رحلة خلال ثلاث مراحل: من النيجر باماكو nijer- bamako إلى الاهقار والعرق الشرقي الذي قطع فيها مسافة 1500/400 كم في مقال يتناول عصور ما قبل التاريخ، الذي حضى بشعبية كبيرة²² .
- تحدث عن اكتشافاته للرسوم الصخرية بالأطلس الصحراوي رفقة الباحث برويل p03 breuil، التي تحمل أصناف البقرات كالفيل ووحيد القرن، الزرافة والحصان، النعامة، الأسد، والظباء والأسود وغيرها.
- تعتبر أبحاث هنري لوط بمنطقة الجلفة حديثة وتكملة للأبحاث السابقة، فاقترح سنة 1984 تصنيفا للنقوش الصخرية بمنطقة أولاد نايل الجلفة التي قسمها إلى 6 مراحل:
- مرحلة الجاموس العتيق التي تمثل نقوش الحيوانات المتوحشة.
- مرحلة التمثيلات المتوسطة أو ما يعرف بأسلوب الحصباء، يكثر فيه تمثيل الأبقار والثور والأسود مع نقص في تمثيل الكباش
- مرحلة التماثيل الصغيرة: وهو ما يعرف بأسلوب التازينة.
- مرحلة شبه طبيعية: تمثل النقوش الآدمية والتي برزت في مواقع الأطلس الصحراوي فقط.
- مرحلة البقرات: تمثل نقوشها الحيوانات البقرية ذات القرون.
- مرحلة الخيول والعربات: المسيطر بصفة خاصة في منطقة المغرب والصحراء²³ .

6.. الاكتشافات الأثرية للباحثين بمنطقة الجلفة :

1.6.. الفن الصخري:

تزرع منطقة الجلفة بتراث أثري كبير، وكم هائل من مواقع الفن الصخري، حيث تشير الإحصائيات احتوائها على أكثر من 165 محطة ب 54 موقعا، تناول دوفيلاري 20 محطة.

²¹ - Henri l'hote, une aventure scientifique au sahara, monique vérité. P03

²² - Vérite monique 2010, h.l'hote une aventure scientifique au sahara ,le dexiemé volet de roches, 2011.

²³ - h.l'hote , g .camps, souville,art rupestre,encyc lopédie berbère,1989,document 278, p04



● محطة عين النافقة:

تقع ببلدية مجبارة عين الإبل 45 كم جنوب شرق الجلفة، مصنف منذ 1982، ويضم ثلاث محطات.

المحطة الأولى: واجهتان تحملان نقوش حيوانية ممثلة في البقر وأربع نعلمات وأرنب ووحيد القرن، نعامة، ثلاث كلاب، فيلان صغيران، خروف يحمل قرصا على رأسه.

المحطة الثانية: أشار إليها الباحث دوفيلاري، عبارة عن ملجأ صخري مكون من جدارين يحملان نقوش لزوج مكون من رجل وامرأة، يطلق عليهما "العاشقين الخجولين"

أما المحطة الثالثة والأخيرة: فهي عبارة عن واجهة نقش عليها جاموسين عتيقين وعدة حيوانات أخرى كالأسد والحصان وغيره.²⁴

● محطة حصباية:

تبعد بحوالي 75 كم عن مدينة الجلفة جنوبا، اكتشفت هذه المحطة في عملية عسكرية للفرنسيين أثناء الاحتلال، وأعيد اكتشافها سنة 1964 من قبل دوفيلاري وبلانشار.

تضم نقوشا صخرية لفيلة وأبقار ونعلمات وأرنبا، وهنا تظهر ملامح العصر النيوليتي الذي بدأ في الشرق الأوسط منذ 7000 سنة قبل الميلاد، مما يدل على وجود الإنسان في المنطقة خلال هذا العصر.

● محطة خنق الهلال:

اكتشفها دوفيلاري رفقة براتفيال سنة 1966، تقع بالقرب من عين الإبل، تمثل رسما لثور حيرم عتيق، وكبش تعلوه كرة، ويوجد رسم لأسد كبير لا يظهر ذيله ويتجه بوجهه إلى اليمين.

● محطة حجرة سيدي بويكر:

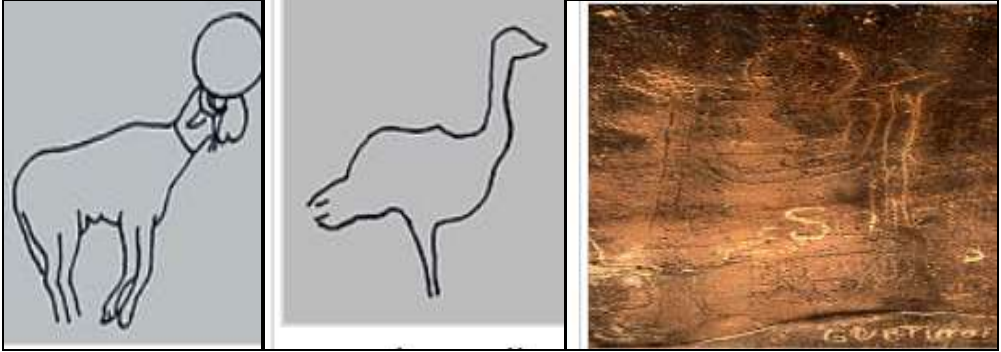
اكتشفت سنة 1965 من قبل فرانسوا دو فيلاري وكذا هنري لوط، تقع بالقرب من مسعد، تحمل نقوشات من جهاتها المختلفة مثل الكبش الذي تعلوه شبه كرة فوق رأسه le béliér à sphéroïde وعلى يمينه نعجة لا تعلوها شبه الكرة brebis sans sphéroïde.²⁵

²⁴ - عبد الوهاب كيدار، المرجع السابق ص 5-23.

²⁵ - عبد القادر نايلي، المرجع السابق، ص 07.

الشكل 02:

النقوش الصخرية بمحطة سيدي بوبكر²⁶.



الشكل 03:

التمثيلات الصخرية بمحطة واد الحصباية بالجلفة²⁷.



2.6.. حصن ديميدي Castellum Demmidi:

يقع حصن ديميدي مركز موقع معزول جنوب جبال أولاد نايل في المسار الموازي لواد جدي oued

djedi بالقرب من مسعد ومن قرية أخرى قديمة تسمى دمد demmed.

هذه البؤرة الاستيطانية تقع أقصى جنوب لحدود خط اليمس النوميدي، على بعد 350 كم جنوب

غرب لومبارز بوابة الصحراء الجزائرية على أحد الروابط الجنوبية الثلاثة للأطلس الصحراوي، ويحتل موقعا

²⁶. p.Bellin, L'art rupestre des Ouled Naïl, dans "Bull. Sté préhist. franç.", t. LIV, fas. 5-6, mai-juin, 1957, (pp. 299-330)

²⁷. Grébénart D., Aïn-Naga. Capsien et Néolithique des environs de Messad (département de Médéa), dans "Lybica", tome XVII, CRAPE, Alger, 1969 (pp. 135-197)



استراتيجية رائعا على مفترق الطرق مما سمح له بمشاهدة كل من جبال أولاد نايل والأودية كواد جدي oued djedi²⁸.

أجريت حوله دراسات دقيقة من طرف شارل بيكار الذي كلف سنة 1939 باستكشاف موقع مسعد على حدود الصحراء الجزائرية.²⁹ وقام بمحلتين تنقيبيتين سنتي 1939 و 1941 لحل الإشكاليات التي أثّرت حوله وجرد كامل البقايا المحيطة به.

- من خلال وصف بيكار يتضح أنه كان مركز الفيالقة المؤقت ومركز تسليح الفرسان تابع لخط الليمس الصحراوي، يدل على وجود قبائل منهوبة في منطقة الصحراء الكبرى جعل ضرورة إنشاء حدود المواقع المحصنة بعيدة عن الليمس.

- يعود تاريخه إلى الإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس septime-sévère الذي سعى إلى التوسع جنوبا للهيمنة والسيطرة الرومانية على الجهة الجنوبية الغربية لنوميديا الذي احتلها وهو في طريقه للقاهرة³⁰.

- كما تمت الإشارة إلى نقوش لاتينية وجدت بالحصن في سلسلة الأطلس الأركيولوجي لستيفن قزال st.gsell في (الورقة 47 عين الريش موقع 23)³¹.

²⁸ - 1-Grimale pierre, gilbert charle bicard,castellum demmidi ,revue des études anciennes,tome51,1949,n1-2,pp177-179.

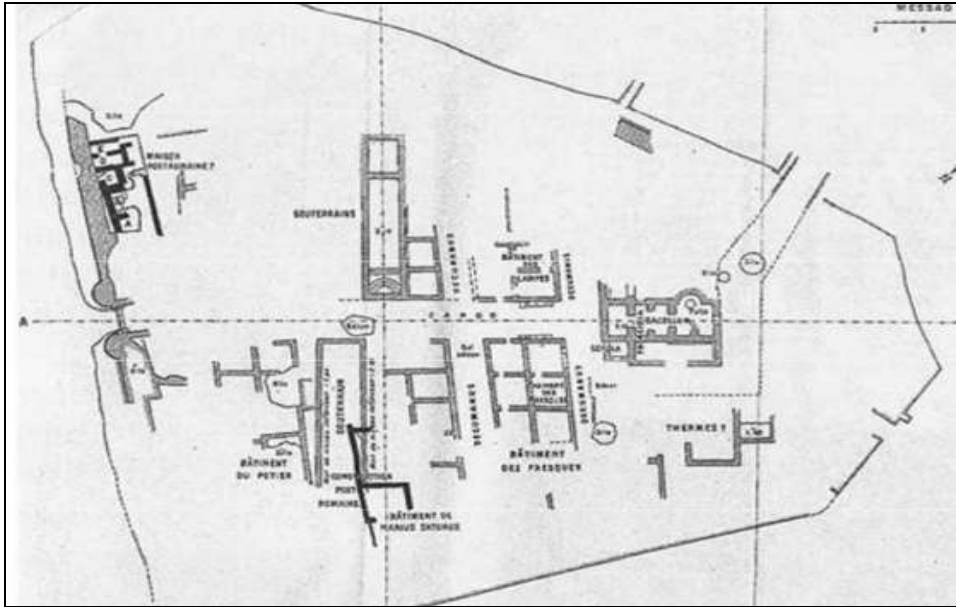
²⁹ --Grimale pierre, gilbert charle bicard,castellum demmidi ,revue des études anciennes,tome51,1949,n1-2,pp177-179.

³⁰ -Dussaud rené. gilbert charle bicard,castellum dimmidi ,in syria ,tome 26fascicule 3-4 ,1949,pp373-374

³¹ -St ,gsell ,atlas archéologique de l'algérie ,cartes 1911.

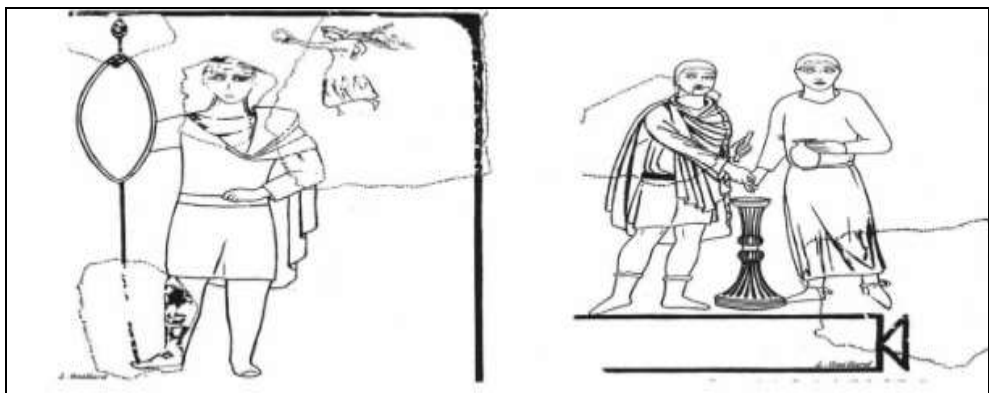
الشكل 04:

المخطط العام لحصن ديميدي حسب شارل بيكار.³²



الشكل 05:

³³ *gaillard*. اللوحات الجدارية لكنيسة حصن ديميدى المرممة من طرف .



³². P. trousset « massad ,castellum dimmidi(antiqué) »,enculopédie berbère,document 95,2020,p2-6.

³³. p.trousset ,op cit



7.. الدراسات الاثنو انثروبولوجية للمجتمع النابلي :

اهتمت التقارير الفرنسية بدراسة عرش أولاد نايل وعاداتهم وخصالهم الاجتماعية، وتضمنت التقارير المشار إليها مميزات وخصوصيات الإنسان النابلي الذي وصفته بأنه محب للحرية، وللمغامرة أيضا، مع الحفاظ على نمط معيشته، كما نوهت أيضا بطابع الترحال الذي يغلب على عرش أولاد نايل.

كما تذكر التقارير أن الإنسان النابلي محارب مثبث بتقاليده وعاداته العريقة فخور بأصوله، محب للفروسية، فخورين بأنفسهم سواء كانوا من المالكين، أو فلاحين بسطاء أو مجرد رعاة متواضعين، معتزون بخيمتهم السوداء الموشحة ب الفليج الأحمر والرمادي.³⁴

كان دوفيلاري المبشر الوحيد بمنطقة الجلفة سنة 1945، استعمل الأعمال الخيرية ليتقرب من الناس خاصة الفقيرة لمساعدتهم وكسب ودهم وثقتهم، مما سهل عليه الأمر بالاندماج داخل المجتمع والاطلاع على عادات وتقاليد المنطقة، خاصة أصحاب البدو والرحل نواحي مسعد، بحكم معرفته للغة الدارجة، وحفظه للكثير من الأمثال والحكم المتداولة بين الأهالي، واندماجه داخل المجتمع النابلي كأحد فرد منهم، وكان يرتدي لباس أهل المنطقة المسمى "القشاية"³⁵.

فكتب عن أولاد نايل باحثا في الكتب التي توفرت لديه (كمقدمة ابن خلدون، وكتابات الإمام الشيخ مسعودي عطية، كما أنه كان يتلقى وثائق من الأرشيف الفرنسي تخص المنطقة. مكنته من التوغل في تركيبة المجتمعات النابلية.

ينسب الباحث دوفيلاري قبائل أولاد نايل إلى محمد ابن عبد الله سيدي نائل بن عبد الله بن هلال بن موسى بن عبد السلام بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش ابن أبي بكر بن علي.³⁶

وهي قبيلة كبيرة تتشكل من عدة فروع ينتشرون في كامل أرجاء وسط الجزائر، تنحدر من عائلة ادريس الأكبر التي قدمت من الساقية الحمراء، وينتهي نسبها إلى علي ابن أبي طالب.³⁷

³⁴ - العربي بلعوز، 2021، تاريخ مآثر وتقاليد قبائل أولاد نايل حسب بعض التقارير الفرنسية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، المجلد 13، ص 564-584.

³⁵ - عبد القادر نابلي، المرجع السابق، ص ص 04-05.

³⁶ -- F.de villaret, siècles de steppe, Deuxième partie « les oulad nail », op,cit, p04.

³⁷ - بكاري عبد القادر، 2020، الصورة النمطية لقبائل أولاد نايل من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 19 م، مجلة

دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 09، العدد 03، ص 201-212



الشكل 06:

شجرة أولاد نايل³⁸.

8.. خاتمة:

سعت فرنسا كغيرها من الدول الأوروبية بإرسال بعثات استكشافية إلى الأرياف والصحاري، لمعينة وتحليل تركيبها الاجتماعية، بغرض ربطها بالمناطق الشمالية والسيطرة عليها. لكن تشبث أصحاب المنطقة بعاداتهم وقيمهم الحميدة جعلهم يرفضون الاستعمار جملة وتفصيلا، الأمر الذي جعل حركة التنصير تفشل. الميزة الأخلاقية والحميدة للسكان وحسن معاملتهم جعل العديد من الباحثين أمثال دوفيلاري وشارل بيكار ولوط يندمجون داخل الأهالي دون انزعاج.

وبمساعدة الأهالي والاعتماد على شهاداتهم بذل الباحثين مجهودات كبيرة لإزاحة الغبار على العديد من المواقع الأثرية، دلت على وجود الإنسان بالمنطقة منذ فترات ما قبل التاريخ إلى الفترة الرومانية، وهو ما دلت عليه العديد من الكتابات والمخططات التي تم اكتشافها، وكذا أعمال التنقيب التي قام بها فرق البحث وعلى رأسهم شارل بيكار.

لم تخضع دراسة دوفيلاري لقبائل أولاد نايل للترتيب نتيجة تجميع أفكاره مدة من الزمن في ذاكرته ثم إعادة تركيبها، بعد تأثره بعوامل نفسية واجتماعية كطريقة العيش والتفكير، كما يعتبر وصفه لنسب أولاد نايل لم يخرج عما ورد في الكتابات العربية لابن خلدون وغيره.

³⁸ - francoit de villaret, siècles de steppe, oulad nail ,p76.



ومن خلال كتاباتهم يمكن استخلاص أن وصفهم جاء مقتضبا فيه نوع من المغالطة والتزييف، لأن الغاية ليست إبراز الحقيقة بل لتشويه الحقائق، بما يخدم مصالح فرنسا السياسية والاقتصادية والثقافية، وليس لأمر آخر، وبالرغم من هذا تبقى المصادر الوحيدة التي يستعين بها الباحثون والدارسون للمنطقة، في ظل نقص الدراسات والأبحاث التي لم تأت بالجديد.

9.. الببليوغرافيا :

المراجع العربية:

- أحمد شايب الدور، الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، 2010/2009.
- محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1433هـ- 2013 م، الرابط (المملكة العربية).
- محمد فتح الله، الترجمات الاستشرافية للقرآن الكريم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الاستشرافية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجليلي اليايس، سيدي بلعباس، 2015/2014.
- عبد الحميد بريقة، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879- 1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في ميدان العلوم الانسانية، تخصص تاريخ، جامعة 8ماي قالمة، 2022/2021.
- عبد القادر نايلي، الأب فرانسوا دو فيلاري ونشاطه التنصيري والعلمي بمنطقة الجلفة، مجلة التنوير للدراسات الأدبية والانسانية، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 09، جوان 2019.
- علي بن عبد العزيز عدلاوي، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، منطقة الجلفة نموذجاً، سلسلة الوفا لإحياء تراث الجلفة (1)، دار الاوراسية حي باب الشارف، الجلفة، الطبعة الأولى، 2010.
- عبد الوهاب كيدار، بقعة بلخير، قراءة في الفن الصخري لإنسان العصر الحجري الحديث، موقع عين الناقاة بالجلفة نموذجاً، العدد 02، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد 3، 2021.
- العربي بلعزوز، تاريخ، مآثر وتقاليد قبائل أولاد نايل حسب بعض التقارير الفرنسية، جامعة حسينية بن بوعلي بالشلف، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، المجلد 2021، 13.
- بكاري عبد القادر، الصورة النمطية لقبائل أولاد نايل من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 19، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، المجلد 09، العدد 03، 2020.



المراجع الأجنبية:

- F. de villaret, siècles de steppe, Jalons pour l'histoire de djelfa, supplément « Généalogies et nomadisme », centre de documentation saharienne ghargaia(algérie),1955.
- F.de villaret,siècles de steppe, Deuxième partie « les oulad nail », ghardaia,1955
- F. de villaret,siècles de steppe , Troisième partie « Récits populaires »,ghardaia ,1955.
- Nathalie de chaisemartin, gilbert charles bicard (15 octobre1913 - 21décembre 1998), antiquités africaines 35,1999, .
- Lebègue Raymond, éloge de M charles picard, membre de l'académie, comptes rendud des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres,année 1966,.
- L'épopée du ténéré par henri l'hote l'air du temps,tout droits de reproduction , d'adaptation et de traduction réservé pour tous pays , comp.ris l'u.r.s.s , 1961, librairie gallimard , p02
- Henri l'hote,une aventure scientifique au sahara, monique vérité.p03
- Henri l'hote, une aventure scientifique au sahara, monique vérité. p03
- Vérite monique 2010, h.l'hote une aventure scientifique au sahara ,le dexiemé volet de roches ,2011.
- Henri.l'hote,g.camps,souville,arttrupestre,encyclopédie berbère,1989,document 278.
- P. Huard, Recherches sur la culture des chasseurs anciens du Nil et du Sahara, CRAPE, Alger, 1977
- P. Bellin, L'art rupestre des Ouled Naïl, dans "Bull. Sté préhist. franç.", t. LIV, fas. 5-6, mai-juin, 1957.
- Grébénart D., Aïn-Naga. Capsien et Néolithique des environs de Messad (département de Médéa), dans "Lybica", tome XVII, CRAPE, Alger, 1969.
- https://ar.wikipedia.org/wiki/النقوش_الصخرية_بمنطقة_الجلفة .
- Grimale pierre, gilbert charle bicard, castellum demmidi, revue des études anciennes, tome51, 1949, n1-2.
- Grimale pierre, gilbert charle bicard, castellum demmidi, revue des études anciennes, tome51, 1949, n1-2.
- Dussaud René. gilbert charle bicard, castellum dimmidi, in syria, tome 26 fascicule 3-4,1949.
- St, gsell, atlas archéologique de l'algérie, cartes 1911.
- P. Troussel « Massad, Castellum Dimmidi (antique) », encyclopédie berbère, document 95,2020.